كلمة (فنْد شمع)

(من أين جاءت ؟ و كيف استعملت ؟ وشيءٌ من تاريخها)

أضع اليوم رسالة بعنوان (مكتبة آل المغربي بطرابلس الشام · وصفها وتاريخ جمعها وذكريات عنها) وقد كنفني الكتابة في هذا الموضوع رصيفي الاستاذ الفيكنت فيليب دي طرازي · لأنه مزمع تأليف كتاب باسم (خزائن الكتب العربية) وهو الكتاب الذي نوّه به الاستاذ رئيس المجمع في الجزء الأول من السنة الماضية ·

وبينا انا استعرض كتب خزانتنا اذا كتاب من مخطوطاتها عنوانه (كتاب شرح ديوان ابي العلاء المعري لابن الدرة) (كذا بالهاء ذات النقطتين في آخرها) وتحت هذا العنوان عنوان آخر هذا نصه (سَفَط العقيان واِلحلىَ لعروس ديوان ابي العلا · بل ضوء الفند · من سقط الزند · للمرحوم الشيخ محمد الدرا (كذا بالألف في الآخر بدل الهاء) وهو أحسن شروحه اه وقد قال المؤلف في مقدمة شرحه ما نصه (وقد كنت حين الشروع في هذا الشرح سميته (سفط العقيان والحلى لعروس ديوان أبي العلا ثم اني بعد الفراغ منه والاتمام · رأيت في عالم الخيال والمنام · أني استقدح زنداً · واستصبح منه فنداً · فعبرت ذلك ان سميته : ضوء الفند · من سقط الزند) ثم قال المؤلف في خاتمة الكتاب إنه فرغ من تأليفه في جدّة سنة ١٠٦٤ هـ وبيض المؤلف منه اربعة كراريس الى ان قدم بلده دمشق · وتوفي فيها سنة ١٠٦٥ هـ وقام بعده ابن اخته عبد الحق بن علي الدرّا فأكمل بياض الشرح في سنة ١٠٩٥ هـ ولعل مخطوطة خزانتنا هي نفسها التي كتبها عبد الحق · وقد بحثت عن نسخة أخرى سواها لدى آل الدرا وفي المكتبة الظاهرية وفي فهرست دار الكتب المصرية فلم اظفر بشيءٌ · والسفط بالفاء المفتوحة وعاء الطيوب والجواهر ونحوها · اما تسمية الكتاب بالاسم الثاني اعني (ضوء الفند) فهو موضع تساؤل : من اين جاءت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كلمة (فند) الى لغتنا العربية واذا لم تكن عربية بل دخيلة معرَّبة فكيف جاز للمؤلف ان يستعملها منذ ٣٠٠ سنة ؟

عهدي بكلمة (فند) وتضاف الى الشمع فيقال (فند شمع) — أنها عامية محضة وكنت من يوم نشأت اسمع الناس في طرابلس يقولون (فند شمع) ويريدون بالشمع الشمع الذي يستضاء به بل اذا انعمنا النظر في كلامهم نراهم يريدون به في اكثر الأوقات عدة شمعات تباع في غلافها المتخذ من الورق الثخين الازرق . ويقال احياناً (دزدينة شمع) مكان (فند شمع) وقد راجعت عن كلمة (فند) كل ما عندي من كتب اللغة فلم اعثر عليها كما راجعت معجم شمس الدين سامي ومعجم لاروس والمعجم الانكليزي فلم أرها بين كلمات هذه اللغات وسألت اخواننا اهل دمشق عما اذا كانوا يستعملونها في لهجتهم اليومية فقالوا انهم لا يعرفونها . ولا سمعوا بها . فمن أين وصلت الى مؤلف (ضوء الفند) وهو دمشقي النشأة والوفاة حتى سمى كتابه بها منذ ثلاثة قرون . ثم خطر لي ان اراجع معجم اليسوعيين (الفرائد الدرية) فوجدته يقول (فند الشمع وجمعه فنود Bougie. Cierge)وضبط فاء (فند) بالكسر وعهدي بالطرابلسيين انهم ينطقونها بالفتح . وجمعها في الفرائد على فنود والاقيس ان تجمع على افناد اذا صح انها مكسورة الفاء . وقد وُضعت أمامها العلامة التي تفيد ان الكلمة عربية عامية وان اكثر استعمالها بين عامة لبنان . لكنه (اي صاحب الفرائد) لم يشر الى المعدن التي منه نبتت . وعنه اغتربت . فمن أين جاءتنا اذن ؟

وأخيراً رجعت الى الحاج علي أكبر الشيرازي وهو شيخ معمَّر من النزلاء الايرانيين بدمشق وقد اعتدت ان استفتيه في الكلمات الفارسية او الايرانية الحديثة فلعل (فندا) من هذه الكلمات وقلت له انها تدل على معنى الشمع فقال انه لا يعرفها وانما يعرف كلمة (فندك) ويتذكر أنه وهو صغير في شيراز كان يرى اهله يتخذون اناء صغيراً من زجاج يملؤونه ماء ويصبون على الماء مذوب الشحم وعلى الشحم شمعة او فتيلة صغيرة يستضيئون بها في الليل مكان البترول وانهم يسمونها (فندك)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا ماقاله فلعل كلمة (فندك) جاءتنا مع السلع التي كانت ترد الينا من ايران في القرن الماضي وما قبله ثم حرفت الى كلمة (فند) واطلقتادا على الشمع. واناء الاستصباح الذي ذكره الحاج علي اكبر يسمى في دمشق (ادارة) وفي طرابلس الشام (نوّاسة) و (إرّاية) واذا لم يصح ان (فند) ايرانية وان اصلها فندك. كان لنا ان نتبنّاها نحن معشر العرب وندّعي عروبتها حتى تقوم لغة أخرى فتستلحقها . ونقيم الدليل على نسبتها اليها :

* * *

(الفند) بكسر الفاء لها في اللغة العربية عدة معان لا يمكن ان يكون معنى(الفند) جاء منها . اللهم الا من معنيين :

(الأول) ان الفند يكون بمعنى (الطائفة من الليل) كما في نهاية ابن الأثير. فهل يسمح لنا أن نقول ان استعمال (فند الشمع) جاء من هذا المعنى على تأويل ان الظلمة تنجاب وتنكشف بنور هذا الشمع. ولا انكر ان في هذا التوجيه تكلفاً : لأن الظاهر ان يقال : شمع الفند اي شمع الظلام لا فند الشمع اي ظلام الشمع

(الثاني) ان (الفند) في اللغة يكون ايضاً بمعنى الغصن من اغصان الشجر. وفند الشمع او شمعاته هي شبيهة بأغصان تغرس ليلاً في المجالس . فيُجنى منها بدل الثمار نورٌ يطرد الحنادس . فهل يوافقني قارئي الكريم على ان معنى (الفند) جاء من هذا المعنى المجازي ثم تنوسي بالمرّة ان الفند بمعنى الغصن وصار يفهم منه معنى الشمع حتى صار الشمع معنى حقيقياً له . ومثله كثير في كلمات اللغة العربية : تكون الكلمة مجازا ثم تصبح بسبب تواتر الاستعمال حقيقة .

نرجع الى عبارة المؤلف (الدرّا) في مقدمة كتابه وهو قوله (استقدح زندا . واستصبح منه فندا) فمعناه : استوري من الزند نوراً كنور الشمع . وقوله (سميته ضوء الفند من سقط الزند) السقط الشرر المتناثر من الزند . فيكون المعنى : سميته ضوء الشمع المستخرج من شرر الزند . مريداً بذلك ان شعر ابي العلاء كالشرر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فهو (اي المؤلف) استخرج منه نوراً . ازداد به الشرر ظهوراً . لكن المؤلف لو قال (على سقط الزند) مكان (من سقط الزند) لكان احسن

وقال ناسخ المخطوطة عبد الحق الدرا في آخرها ما نصه (ولم تزل هذه اللؤلؤة (يعني كتاب خاله) في صدفة المسودة . تمضي عليها مدة بعد مدة . وهي كالعنقاء . يسمع اسمها . ولا يرى جسمها . حتى كادت تخفى . ونور هذا الفند يُطفى . إلى أن يسر الله تبييضها الخ

فانظر كيف ان كلمة (فند) قد مرنت عليها ألسنة الدماشقة في ذلك العهد . الى هذا الحد . ويزيدك دلالة على ذلك ان المؤلف لم يفسر في كتابه لمن جاء بعده معنى كلمة (الفند) مع انه فسر نحو الف كلمة من عويص الكلمات . ونسي هذه الكلمة الواحدة التي جعلها اسماً لكتابه . ولا سيما انه سنحت له الطف المناسبات لتفسير معنى (فند الشمع) . وذلك انه فسر لنا في تأليفه قول (ابي العلاء) يخاطب الدهر :

(تستأثر العقبانَ في جوها وتُنزل الأعصمَ من فنده)

ففسر كلمة (الفند) بالقطعة من الجبل لكنه لم يفسر لنا كلمة الفند بمعنى الشمع . ومن أية لغة جاءت ؟ ومن أيّ جانبٍ على لغتنا دَمرَتْ ؟ ألا يكون هذا من مواضع العجب ؟

ولقائل ان يقول ان المؤلف رأى كلمة (الفند) معروفة المعنى مألوفة الاستعمال بين اهل زمنه ومثلها لا يحتاج الى تفسير . وهذا كما اذا قام احدنا والف رسالة في تكذيب ما تناقلته العرب من أخبار الغيلان وسمى رسالته (إيقاد البترول على اخبار الغول) أتراه يفسر لنا معنى كلمة (البترول) الأعجمية ؟ . وهكذا اشتهرت كلمة (الفند) بمعنى الشمع بالنسبة الى الدماشقة في زمن المؤلف فأصبح تفسيرها مما لا حاجة اليه

على ان كلمة (فند) ان كانت عادت فماتت في دمشق فانها لم تزل حية — فيما أظن — في طرابلس الشام وما يليها من مدن الساحل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتتبع تاريخ كلمات اللغة وتطورها بحث لغوي جديد يحتفل له علماء اصول اللغات من علماء اوربا . فينبغي للمشتغلين منا في علم اللغة ان يمنحوا هذا العلم الطريف جانباً من عنايتهم واهتمامهم

وبهذه المناسبة نقول : انه كان قديماً لصنع الشمع والمتاجرة به سوق رائجة في دمشق : أيام كان ركب الحج والحجاج يغدون ويروحون بين الشام والحجاز وكان الحجاج واهلوهم ومودعوهم يهدون وينذرون الشموع للمسجدالنبوي والأضرحة الشريفة . وكان في دمشق معامل وعمّال وعائلات ترتزق من صنع فنود الشمع . وما زال الى اليوم يسمى بعض هذه العائلات بالشماع . ففي هذا المحيط تولدت كلمة (الفند) بمعنى الشمع وكذلك تولدت مثل هذا التولد بين النصارى بالنسبة إلى الشمع الذي يهدى من مزارات القدس وإليها كذا أخبرني لفيف من قساوسة الروم الأرثوذكس .

* * *

والشيخ محمد مؤلف ضوء الفند ترجمه المحبي في (نفحة الريحانة) وفي (خلاصة الأثر (جزء٤ص ٢٤٩) وتكرر اسمه فيه بلفظ (الدرا) بالألف لا (الدرّه) بالهاء . وقال عنه : إنه حضر دروس الشيخ عبد الرحمن العمادي والنجم الغزي . ورحل الى القاهرة . وجاور بمكة . وعمل فيها شرحاً على (سقط الزند) ثم ادركه المرض ولم يكمل الشرح ! ! وجعل كتابه برسم خزانة الشريف (زيد بن محسن) وقال : إنه ولد سنة ١٠٢٨ ه وتوفي بدمشق سنة ١٠٦٥ ه ودفن بجبانة باب الصغير اه غير ان المحبي اخطأ في قوله : ان المؤلف لم يكمل شرحه على سقط الزند بل نقول إنه اكمله تأليفاً . لكنه لم يكمله تبييضاً . فأكمل تبييضه ابن اخته (عبد الحق) كما نقلناه عن مخطوطتنا في صدر مقالنا هذا .

اما ان اسم المؤلف (الدرّة) بالهاء او (الدرا) بالألف فأذكر خلاصة ما سمعته من الاخوان الدمشقيين في التفرقة بينهما قالوا : في دمشق اسرتان بهذا الاسم احداهما مقيمة في دومة احدى مدن الغوطة . والاسرة الأخرى وافدة من حمص واوطنت دمشق منذ القديم . وزاد آخر فقال والأسرة الدومانية هي التي تكتب (الدرة) بالهاء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على اسم الطائر المعروف الذي يسمعنا صوتاً يحكي كلام الناس . اما الأسرة الحمصية فيكتب اسمها (الدرا) بفتح الدال وبالألف المقصورة وزاد ثالث ان اصل (الدرا) (الدراء) بهمزة في آخرها على وزن غرّاء فقصرت قال : وإنما لقبت هذه العائلة بالدرّاء لأن رجالها اشتهروا بخاصة جزيلة النفع إلهية الصنع : ذلك ان المرضع من النساء اذا خانتها درّتها . وخافت على طفلها . قصدت كبير بيت الدرا فيضع يده المباركة على ثديها . ويتلو دعاءً عجيباً توارثوه بينهم فيستدر لبنها . وتصبح (درّاء) غزيرة اللبن . بعد ان كانت (جدّاء) لا لبن في ثديها .

اقول : لكن اهل اللسان لايعرفون كلمة (الدرّاء) بمعنى المرأة ذات الدر وانهم ربما يقولون في صفتها (درور) لا (دراء) فقولهم (الدرا) اذن من مخترعاتهم وعلى هذا يكون معنى (بيت الدرا) العائلة المنسوبة الى المرأة (الدراء) التي ردّوا لهفتها . وأرجعوا إليها درّتها . وهناك احتمال آخر وهو أن تكون كلمة (الدرا) محرفة عن (الدِرّة) بمعنى لبن المرضع الذي يسيل من ثديها . ومؤلف (ضوء القند) من هذا البيت على ما يقال .

المغربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net